



التفسير نشأته و تطوره مرحلة عهد الصحابة (1)

نویسنده: معرفت، محمد هادی

علوم قرآن و حدیث :: رساله القرآن :: دی 1370 - شماره 7

از 39 تا 54

آدرس ثابت : <http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/3805>

دانلود شده توسط : جعفر رضانی

تاریخ دانلود : 1393/06/04 01:31:25

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.com

التفسير نشأته وتطوره

(٢)

مرحلة عهد الصحابة

الشيخ محمد هادي معرفة

قال مسروق بن الأجدع الهمداني^(١): جالست أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدتهم كالإخاذا - يعني الغدير من الماء - فالإخاذا يروى الرجل، والإخاذا يُروى الرجلين، والإخاذا يُروى العشرة، والإخاذا يروى المائة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم^(٢).

وفي لفظ ابن الأثير: تكفي الإخاذاة الراكب، وتكفي الإخاذاة الراكبين، وتكفي الإخاذاة الفئام من الناس. قال: والإخاذاة كتاب: مصنع للماء يجتمع فيه. والفئام: الجماعة الكثيرة.

ويعني بالأخير الامام امير المؤمنين، عليه صلوات المصلين، حيث كان (سلام الله عليه) ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير^(٣). قال مسروق: «انتهى العلم الى ثلاثة: عالم بالمدينة علي بن ابي طالب،



هُم دَرَجَتٍ عِنْدَ اللَّهِ
قال تعالى: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَتٍ
مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ
عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦).

لا شك ان الصحابة، ممن «رضى الله عنهم ورضوا عنه» (التوبة: ١٠٠) كانوا هم مراجع الأمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ كانوا حاملتي لوائه ومصادر شريعته الى الملأ، ليس يعدل عنهم الى الأبد.

نعم، كانوا على درجات من العلم والفضيلة حسبما أوتوا من فهم وذكاء وسائر المواهب والإستعداد:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ
أَوْدِيَةً بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد: ١٧)، ﴿يُؤْتِي
الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

التفسير نشأته وتطوره

وعالم بالعراق عبد الله بن مسعود، وعالم بالشام ابي الدرداء... فاذا التقوا سال عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة وهو لم يسألهم... (٢)

قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: الحق ان الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع الى اختلافهم في ادوات الفهم، فقد كانوا متفاوتين في العلم بلغتهم، فمنهم الواسع الاطلاع الملم بغريبها (كعبدالله بن عباس)، ومنهم دون ذلك، ومنهم من لازم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فعرف من أسباب النزول ما لم يعرفه غيره - كعلي بن ابي طالب(عليه السلام) - أضاف الى ذلك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً... (٥)

هذا عدّي بن حاتم (٦)، العربي الصميم، حسب من قوله تعالى: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ (البقرة: ١٨٧)، انه تمايز احد خيطين ابيض وآخر اسود، احدهما عن

الأخر في ضوء الفجر! فأخذ عقالين ابيض وأسود وجعلهما تحت وسادة، فجعل ينظر اليهما فلا يتبيّن له احدهما عن الآخر فلما أصبح غدى الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره بما صنع! فضحك رسول الله من صنيعه ذلك، حتى بدت نواجذه، وفي رواية، قال له: إن سادك إذن لعريض! - كناية عن عدم تنبّهه لحقيقة الأمر - ثم قال له: إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل... (٧) إنه البياض المعترض على الأفق تحت سواد الليل المنصرم... وفي الدر المنثور: لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل - وهو الساطع المصعد - ولكن الفجر المستظهر في الأفق، هو المعترض الاحمر، يلوح الى الحمرة. وفي حديث: لا يمنعكم أذان بلال من سحوركم، فانه ينادي بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن ام مكتوم، فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر (٨).

قال الامام ابو جعفر الباقر(عليه السلام): «الفجر هو الخيط الابيض المعترض، وليس هو الابيض صُعداً...» (٩).

وزعمت عائشة من قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا...﴾ إرادة إرتكاب المأثم... الأمر الذي يتنافى مع سياق الآية الواردة بشأن الإشادة بموضع المؤمنين حقاً... قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ -الى قوله: -﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ *أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٧-٦١).

فسألت عن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله؟! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الله^(١٠). كفاية عن إتيانه الطاعات، وجلأ ان لا يكون مؤدياً لها تامة حسبما اراده الله ولعلها كانت تتصور من الكلمة انها مقصورة (يأتون ما أتوا) بمعنى: «يعملون ما عملوا». وقد اسلفنا الكلام عن تزييفه^(١١). وان الصحيح هي قراءة المدّ (يؤتون ما أتوا) بمعنى: يؤدون ما أدوا، اي من أفعال البر والخيرات، من غير اعجاب ولا رياء... والى ذلك ينظر

تفسيره (صلى الله عليه وآله وسلم). وروى زرارة عن الامام ابي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: أتى عمّار بن ياسر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله! أجنبت الليلة ولم يكن معي ماء. قال: كيف صنعت؟ قال: طرحت ثيابي ثم قمت الى الصعيد فتمعكت^(١٢)!! فعلمه رسول الله التيمم، سواء أكان بدل وضوء ام بدل غسل...^(١٣).

وقرأ عمر بن الخطاب من سورة «عبس» حتى وصل الى قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ *أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا* *فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* *وَعِنَبًا وَقَضْبًا* *وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا* *وَحَدَائِقَ غُلْبًا* *وَفَوَكِهَةً وَأَبًّا* *مَتَعَا لَكُمْ وَلَٰنَعْمَ لَكُمْ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢)، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع الى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمرا! وفي رواية: ثم رفض -او نقض- عصاً كانت في يده، وقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك ان لا تدري ما الأب، إتبعوا ما بين لكم هُداة من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه الى ربّه! -ولعله سئل عن تفسير الآية فحار في الجواب!

وقد ورد ان أبا بكر- أيضاً- سئل قبل ذلك عن تفسير الآية، فقال: أيّ سماءٍ تُظَلِّني، وأيّ أرضٍ تُقَلِّني، إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم! (١٢).

قال الذهبي: ولو أننا رجعنا الى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تتفاوت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم. وهذا يرجع الى تفاوتهم في القوّة العقلية. وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات: وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضير في هذا، فإنّ اللغة لا يحيط بها إلا معصوم! ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها.

قال: ومما يشهد لهذا الذي ذهبنا اليه، ما أخرجه ابو عبيدة في الفضائل عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر «وفاكهة وأباً» فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع الى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر!

وما روي من أن عمر كان على المنبر فقراً: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ (النحل: ٤٧). ثم سأل عن معنى التَخَوُّفِ، فقال له رجل من هُذَيْلِ: التَخَوُّفُ عندنا التَنْقِصُ، ثم أنشد:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكاً قَرْداً
كَمَا تَخَوُّفُ عُوْدِ النَّبْعَةِ السَّفْنُ (١٥)

قال الطبرسي: التَخَوُّفُ التَنْقِصُ، وهو أن يأخذ الأوّل فالأوّل حتى لا يبقى منهم أحد، وتلك حالة يخاف منها الهلاك والفناء، وهو الفناء تدريجاً، ثم أنشد البيت بتبديل الرجل الى السير (١٦).

قال الفراء: جاء التفسير بأنه التَنْقِصُ. والعرب تقول: تحوّفته - بالحاء المهملة - : تنقصه من حافاته (١٧).

ومعنى الآية - على ذلك - : أنه تعالى يهلكهم على تدرّج شيئاً فشيئاً، بما يجعلهم على خوف الفناء، حيث يرون أنهم في تنقيص والأخذ من جوانبهم تدريجاً... وهذا نظير ما ورد في آية أخرى: ﴿أَقْلَابُ يَرْوَنَ أَنَا نَاتِي الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الانبيا: ٤٢). (١٨). وقوله: ﴿وَأَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: ١٥٥).

وعبد الله بن عباس، كان أصغرهم وأوسعهم باعاً في نشر التفسير. أما غير هؤلاء الأربعة فلم يعهد عنهم في التفسير سوى النزر اليسير.

قال جلال الدين السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة، الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابوموسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء، فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) نزره جداً^(٢١).

قال الاستاذ الذهبي: وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعائشة. غير ان ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلّة وكثرة، والمخصوص بكثرة الرواية في التفسير منهم اربعة: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس. اما باقى العشرة، وهم: زيد، وابوموسى، وابن الزبير، فقد قلّت عنهم الروايات، بل بلغوا ما بلغه الأربعة

وايضاً أخرج ابو عبيدة عن طريق مجاهد عن عبد الله بن عباس، قال: كنت لا أدري ما «فاطر السموات» حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها...^(١٩).

قال الذهبي: فاذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى الأبّ ومعنى التخوّف، ويسأل عنهما غيره، وابن عباس - وهو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى «فاطر» إلا بعد سماعه من غيره، فكيف شأن غيرهما؟! لا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية: فيكفيهم - مثلاً - أن يعلموا من قوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبَاهُ﴾، أنه تعداد للنعم التي أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بتفهّم معنى الآية تفصيلاً، ما دام المراد واضحاً جلياً...^(٢٠).

المفسّرون من الاصحاب

إشتهر بالتفسير من الصحابة اربعة، لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعانى القرآن، وهم: علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان رأساً وأعلم الأربعة. وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب،

فيصلاً في العضلات^(٢٢)، حتى ضرب به المثل، فقيـل: «قضـية ولا أبا الحسن لها!»

قال: ولا عجب، فقد تربى في بيت النبوة، وتغذى بلبان معارفها، وعمته مشكاة أنوارها... وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، والله لا أعلمه... وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، قال: «إذا ثبت لنا الشيء عن علي، لم نعدل عنه الى غيره»...^(٢٥)

قال ابن عباس: جل ما تعلمت من التفسير، من علي بن ابي طالب... وقال: علي علم علماء علمه رسول الله. ورسول الله علمه الله. فعلم النبي من علم الله. وعلم علي من علم النبي. وعلمي من علم علي. وما علمي وعلم اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في علم علي، الا كقطرة في سبعة أبحر. وفي حديث آخر: فاذا علمي بالقرآن في علم علي (عليه السلام) كالقرارة في المتعرج قال: القرارة الغدير، والمتعرج البحر...^(٢٦)

وقال: لقد اعطى علي بن ابي طالب (عليه السلام) تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر... الامر

قال: لهذا نرى الإمساك عن الكلام في شأن السنة، ونتكلم عن «علي ابن ابي طالب» و«ابن مسعود» و«أبي بن كعب» و«ابن عباس» نظراً لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرة غدت مدارس الأمصار على اختلافها وكثرتها...^(٢٢)

أعلم الصحابة بمعاني القرآن فالأعلم

قال الإمام بدرالدين الزركشي: وصدور المفسرين من الصحابة هو علي بن ابي طالب، ثم ابن عباس. وهو تجرد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي، الا أن ابن عباس كان قد أخذ عن علي (عليه السلام)^(٢٣). قال الأستاذ الذهبي: كان علي عيبه بحراً من العلم، وكان قوي الحجّة، سليم الاستنباط. أوتي الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشعر وكان ذا عقل ناضج وبصيرة نافذة الى بواطن الأمور. وكثيراً ما كان يرجع اليه الصحابة في فهم ما خفي، واستجلاء ما أشكل. وقد دعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين ولاه قضاء اليمن، بقوله: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه». فكان موفقاً مسدداً،

الذي احوج الكل اليه واستغنى عن الكل... كما قال الخليل...

وقال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول: اذا جاءنا الثبت عن علي(عليه السلام) لم نعدل به... وفي لفظ ابن الاثير: اذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه الى غيره.

وقد عرفت ان ما أخذه ابن عباس من التفسير فانما أخذه عن علي (عليه السلام).

وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن ابي طالب. قال: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن... وقد روى البلاذري في الانساب قوله عمر: «لا أبقناني الله لمعضلة ليس لها ابو حسن».

وقال ابو الطفيل: كان علي (عليه السلام) يقول: سلوني، سلوني، سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية الا وانا أعلم أنزلت بليل او نهار...

وقال عبد الله بن مسعود: إن القرآن انزل على سبعة أحرف، ما منها حرف الا وله ظهر وبطن، وان علي بن ابي طالب عنده منه الظاهر والباطن^(٢٧).

وروى ابو عمرو الزاهد

(٢٦١-٢٤٥) باسناده الى علقمة، قال: قال لنا عبدالله بن مسعود ذات يوم في حلقته: لو علمت أحداً هو أعلم مني بكتاب الله عزوجل، لضربت اليه آباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيت علياً (عليه السلام)؟ فقال: نعم، قد لقيته، واخذت عنه، واستفدت منه، وقرأت عليه، وكان خير الناس واعلمهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقد رأيته كان بحراً يسيل سيلاً... (٢٨).

قال ابن ابي الحديد- بصدد كونه (عليه السلام) مرجع العلوم الاسلامية كلها-: ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه اخذ، ومنه فرّع. واذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس. وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه اليه، وانه تلميذه وخزيجه. وقيل له: اين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط^(٢٩).

وأخرج الحاكم باسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» وقال: «أنا مدينة

العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها^(٢٠).

والآن فلنستمع الى ما يصف (عليه السلام) نفسه وموضعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «سلوني عن كتاب الله، فانه ليست آية إلا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار، في سهل او جبل». «والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت. وان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً».

قيل له: ما بالك اكثر أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديثاً؟ فقال: «لاني كنت إذا سألته أنباني، وإذا سكتتُ ابتداني»^(٢١).

قال (عليه السلام): «كنت أول داخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآخر خارج من عنده، وكنت اذا سألتُ أعطيت، واذا سكتُ أبتديت. وكنت ادخل على رسول الله في كل يوم دخله، وفي كل ليلة دخلة وربما كان ذلك في بيتي، يأتي رسول الله اكثر من ذلك في منزلي. فاذا دخلت عليه في بعض منازلہ خلا بي وأقام نساءه فلم يبق عنده غيري. واذا أتاني لم يُقم فاطمة ولا أحداً من ولدي!

واذا سألته أجابني، واذا سكتُ عنه وفقدت مسائلي ابتداني. فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرانيها وأملاها عليّ وكتبتها بخطي، فدعا الله ان يفهمني ويعطيني، فما نزلت آية من كتاب الله إلا حفظتها وعلمني تأويلها. . .»^(٢٢).

وفى الكافي: «فما نزلت على رسول الله آية من القرآن الا أقرانيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها. ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها. فما نسيت آيةً من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته، منذ دعا الله بما دعا. وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، كان اويكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة او معصية، إلا أعلمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً. فقلت: يا نبي الله! بابي أنت وامّي، منذ دعوت الله لي بما دعوت، لم أنس شيئاً ولم يُقتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لستُ أتخوف عليك النسيان والجهل!»^(٢٣).

أرى نور الوحي والرسالة، وأشَمَّ ريح النبوة.

ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرثة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته. أنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير. وانك لعلي خير... (٣٧).

وأما عبدالله بن مسعود، فهو من السابقين في الإيمان، وأول من جهر بالقرآن بمكة وأسمعه قريشاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوذي في الله من أجل ذلك... وكان قد أخذه رسول الله إليه، فكان يخدمه في أكثر شؤونه، وهو صاحب طهوره وسواكه ونعله، يلبسه إياه إذا قام، ويخلعه ويحملة في ذراعه إذا جلس، ويمشي إمامه إذا سار، ويستتره إذا اغتسل، يوقظه إذا نام، ويلج داره بلا حجاب، حتى لقد ظنَّ أنه من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله... كان من أحفظ الناس لكتاب الله، وكان رسول الله يحب أن يسمع القرآن منه. وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): «إنَّ الله أمرني أن أدنك ولا أقصيك، وأن أعلمك ولا أجفوك. فحقيق عليّ أن أعلمك، وحقيق عليك أن تعي...» (٣٤).

وفى الخطبة القاصعة-- من نهج البلاغة-: «وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة القريبه، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويُمسّني جسده، ويضمّني عرفه (٣٥). وكان يَمْضغ الشيء ثم يُلْقمني. وما وجد لي كذبةً في قول، ولا خطلهً في فعل (٣٦).

ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن أن كان طفيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه. يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراد ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة وأنا ثالثهما.

«من سرّه ان يقرأ القرآن غصّاً طرياً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن ام عبد».

وكان حريصاً على طلب العلم ولا سيما معاني آيات القرآن الكريم، قال: كان الرجل منّا اذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ... ومن ثم كان يقول: والذي لا اله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا أعلم فيم نزلت واين نزلت... كما كان شديد الحرص ايضاً على بث العلم ونشره بين العباد، قال مسروق بن الاعدج: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها، عامّة النهار...

وقد اذعن له عامّة صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالفضيلة والعلم بالكتاب والسنة^(٣٨). ومن ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، وبذلك طار صيته، وعنه في التفسير الشيء الكثير، والطرق اليه متقنة...

قال الخليلي في الإرشاد: وإسماعيل السدي تفسير يورده بأسانيد الى ابن مسعود وابن عباس. وروي عن السدي الأئمة، مثل الثوري وشعبه... واذاف: ان امثل التفاسير تفسير السدي.

قال جلال الدين السيوطي - تعقيباً على كلام صاحب الارشاد:-

«وتفسير السدي الذي أشار اليه، يورد منه ابن جرير «الطبري» كثيراً من طريق السدي عن ابي مالك، وعن ابي صالح عن ابن عباس... وعن مرة عن ابن مسعود... وناس من الصحابة هكذا... قال: والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصحّحه، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، وناس فقط... دون الطريق الاول^(٣٩) اي طريق ابي صالح عن ابن عباس».

وكان بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخذ العلم من علي (عليه السلام) وليس عن غيره بتاتاً. وقد تقدم حديث علقمة، قال: قال ابن مسعود ذات يوم، وكنا في حلقتة، لو علمت أن احداً هو أعلم مني بكتاب الله عزوجل لضربت اليه أباط الابل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيت علياً؟ فقال: نعم، قد لقيته، واخذت عنه، واستفدت منه، وقرأت عليه. وكان خير الناس وأعلمهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقد رأيتة كان بحراً يسيل سيلاً^(٤٠).

وعده الخوارزمي وشمس الدين

الجزري في اسنى المطالب من رواة حديث الغدير من الصحابة^(٤١).

واخرج جلال الدين السيوطي عند نزول آية التبليغ (سورة المائدة: ٦٧) بشأن علي (عليه السلام) يوم الغدير. قال: واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ - أَنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٤٢).

نعم، كان ابن مسعود ممن شدّ وثاقه بولاء آل بيت الرسول، لم يشدّ عن طريقتهم المثلى منذ اول يومه فإلى آخر أيام حياته . . .

روى الصدوق ابو جعفر ابن بابويه باسناده الى زيد بن وهب الجهني ابي سليمان الكوفي^(٤٣) أنّ اثنى عشر رجلاً من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنكروا على ابي بكر تقدّمه على عليّ (عليه السلام) وعدّ منهم: عبدالله بن مسعود^(٤٤).

وكان هو الذي أشاد بذكر اهل البيت وبثّ حديث «الخلفاء اثنا عشر . . .» في الكوفة وما والاها^(٤٥).

قال المرتضى علم الهدى -بشأنه-: لا خلاف بين الأمة في طهارة ابن مسعود وفضله وايمانه، ومدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له وثنائه عليه، وانه مات على الحالة المحمودة^(٤٦).

وسياتي من تقى الدين ابي الصلاح الحلبي، عدّه وأبياً من المخصوصين بولاية آل البيت^(٤٧).

وروى رضى ابوالقاسم علي بن موسى بن طاووس^(٤٨) عن كتاب ابي عبدالله محمد بن علي السراج - في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾ (الانفال: ٢٥)، بالاسناد الى عبد الله بن مسعود، انه قال:

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا ابن مسعود! انه قد أنزلت عليّ آية «وَاتَّقُوا فِتْنَةً... الخ» وأنا مستودعها، فكن لما أقول لك واعياً وعني له مؤدياً . . . من ظلم عليّاً مجلسي هذا كمن جحد نبوتي ونبوة من كان قبلي. فقال له الراوي: يا ابا عبد الرحمن! أسمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: نعم. قال فكيف وليت للظالمين؟ قال: لا جرم حلّت عقوبة عملي^(٤٨)، وذلك أنني لم استأذن

إمامي كما استأذن جُنْدَب وَعَمَار
وسلمان، وأنا استغفر الله واتوب
اليه...» (٣٩).

ومما يجدر التنبيه له ان عامّة
الكوفيين من مفسّرين وفقهاء ومحدثين،
كان طابعهم الولاء لاهل البيت (عليهم
السّلام) وقد خصّ اصحاب ابن مسعود
بالميل مع علي (عليه السّلام). الامر الذي
كانت البيئة الكوفية تستدعيه بالذات،
على أثر وفرة العلماء من صحابة
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) هناك. ولا
غرو فانهم اعرف بموضع اهل البيت
ولا سيما سيدهم وكبيرهم علي بن ابي
طالب، من رسول الله، وكثرة وصاياه
بشأنهم، والتمسك باذيالهم والسير على
هديهم، فلا يضلوا أبداً.

ومن ثم فقد امتازت الكوفة، في
امور جعلتها في قمة العظمة والاكبار،
على مدى الدهور: اولاً: كانت مهجر
علماء الصحابة الاخيار واعلام الامّة
الكبار، وبلغ أوجها عند مهاجرة الإمام
اميرالمؤمنين (عليه السّلام).

اخرج ابن سعد عن ابراهيم، قال:
هبط الكوفة ثلاثمائة من اصحاب
الشجرة، وسبعون من اهل بدر. وبذلك

قال ابن عمرو: ما من يوم إلا ينزل في
فراكم هذا مثاقيل من بركة الجنة. كناية
عن مهاجرة اصحاب الرسول اليها فوجاً
فوجاً (٥٠).

وثانياً: أصبحت معهد العلم في
الاسلام في دور نضارته وازدهار
معارفه، فمن الكوفة صدرت العلوم
والمعارف الاسلامية، بثّتى انحائها الى
البلاد، وسارت به الركبان الى الامصار
في عهد طويل. اخرج ابن سعد- ايضاً
عن عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا
عبد الجبار بن عباس عن ابيه، قال:
جالستُ عطاء، فجعلتُ أسأله. فقال لي:
ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة.
فقال عطاء: «ما يأتينا العلم الا
من عندكم» (٥١).

وثالثاً: كانت أرضاً خصبة لتربية
الولاء لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) في
نفوس مؤمنة صادقة في ايمانها، مؤدية
اجر رسالة نبيّها، حافظة لكرامة رسول
الله في ذريّته الأنجاب، عارفة بأنهم
سفن النجاة، واحد الثقلين، والعروة
الوثقى التي لا انفصام لها. ومن ثم روى
ابن سعد: «ان اسعد الناس بالهدي
اهل الكوفة» (٥٢).

مع الحق، ومن دار معه دار مع الحق...
ومن حاد عنه حاد عن الاسلام ونبذ
وصية الرسول وراء ظهره واعرض عن
الحق الصريح... فكيف الثقة به وهو
حائد عن الجادة، ضالّ عن الطريق،
فلا يصلح ان يكون هادياً وهو لم يهتد
السبيل...

الامر الذي يحفزنا أن نجعل من
الامام امير المؤمنين (عليه السلام) محوراً
اساسياً في هذا الحقل، وميزاناً يفصل
بين الصالح والطالح من الصحابة
والتابعين، الفقهاء والمفسرين
والمحدثين... وليس ذلك منا بدعاً...
بعد ما جعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
بابه الذي منه يؤتى، وسفينة النجاة،
وثاني الثقلين اللذين ما ان تمسكوا بهما
معاً- ولن يفترقا حتى يردا عليه
الحوض- لن يضلوا ابداً...

ولسنا نأخذ العلم الا ممن عرفنا
صلاحه ووثقنا بايمانه الصادق. تلك
وصية امامنا ابي جعفر محمد بن علي
الباقر (عليه السلام). قال في قوله تعالى:
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ
طَعَامِهِ﴾ (عبس: ٢٤): «الى العلم الذي
يأخذه عمّن يأخذه» (٥٥).

وهكذا أبي بن كعب الأنصاري
الخرجي، هو اول من كتب لرسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) عند مقدمه المدينة...

اما اصحاب ابن مسعود (الصحابي
الجليل الموالي لآل بيت الرسول) فكانوا
اصدق عند الناس على ابي علي بن ابي طالب
(عليه السلام) على ما اخرج ابن سعد
باسناده عن ابي بكر بن عياش عن
مغيرة... (٥٢)، كانوا لا يُغالون ولا
يتقصون.

ومن ثم روى عن علي (عليه السلام) ما
يدل على رضائه عن موفقيهم هذا
المشرف. قال: «اصحاب عبدالله سُرُج
هذه القرية» (٥٤).

ملحوظة

إنما نعرف صلاح الرجل واستقامته
في الدين، بتقواه عن محارم الله
واستسلامه لأوامره ونواهيه، في اطاعة
الرسول واتباع سنته والعمل بوصاياه،
من غير ان يكون له الخيرة من امره بعد
ما قضى الله ورسوله. اذ يقضي الايمان
الصادق ان يسلم امره الى الله ورسوله
تسليماً.

ومن اهم وصاياه (صلى الله عليه وآله وسلم)
والذي جعل اجر رسالته، هو
الانضواء تحت لواء اهل البيت
والاستمسك بعري وثائقهم مدى
الحياة... وقد كان (عليه السلام) شاخص
هذا البيت الرفيع... فمن كان معه كان

وكان قد لُقّب بسيد المسلمين، لشرفه وفضله وعلو منزلته في العلم والفضيلة. . . كما لُقّب بسيد القراء، لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «وأقرؤهم أبي بن كعب». وكان هو الذي تولّى رئاسة لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان عندما عجز القوم الذين انتدبهم الخليفة لذلك ولم يكونوا أكفاء، حسبما اسلفنا.

وعنه في التفسير الشيء الكثير. . . والطرق اليه متقنة أيضاً. . .

قال جلال الدين: وأما أبي بن كعب، فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه. وهذا إسناد صحيح. وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً. وكذا الحاكم في المستدرک، وأحمد في مسنده. . . (٥٦)

وذكر أبو الصلاح تقي الدين الحلبي (٣٧٤-٤٤٧) أياً وابن مسعود من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول، المتخصصين بهم في العهد الأول بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (٥٧) وأضاف: إن أياً حاول الإجهار بما يكنه ضميره في أخريات حياته لولا حؤول الموت (٥٨). وقد كان من النفر الاثنى عشر الذين نقموا على أبي بكر تصديه ولاية الامر دون الامام امير المؤمنين (٥٩) وكابد الامرّين على ذاك الحادث الجلل،

رافعاً شكواه الى الله، قال: «والى الله المشتكى» (٦٠) وقد سمع من سعد بن عبادة ما نطق بما يوجب فرض ولاية الامام (عليه السلام) (٦١).

الهوامش

(١) كان من التابعين، فقيه عابد. قال الشعبي: ما رأيت أطلب منه العلم. كان معلماً ومقرباً ومفتياً. صحب علياً (عليه السلام) ولم يتخلف عن حروبه. توفي سنة ٦٢ وله من العمر ٦٣ سنة.

(٢) التفسير والمفسرون: ١: ٣٦.

(٣) راجع: الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة رقم ٣.

(٤) راجع: تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الامام علي بن ابي طالب ٢: ٥١ رقم ١٠٨٦.

(٥) التفسير والمفسرون: ١: ٢٥.

(٦) هو ابن حاتم الموصوف بالجود الذي يضرب به المثل. وقد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة تسع. كان جواداً شريفاً في قومه. وكان ثابت الايمان راسخ العقيدة، روي عنه انه قال: ما دخل علي وقت صلاة إلا وأنا مشتاق اليها. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكرمه اذا دخل عليه. قال الشعبي: ارسل اليه الاشعث يستعير منه قدورا لحاتم فملاها وحملها الرجال اليه. فقال: انما اردناها

والرحل: القتب وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس. والتامك: السنام، لارتفاعه، يقال: تمك السنام تُموكاً إذا طال وارتمع. والقرد: الذي تجعد شعره فصار كأنه وقاية للسنام. والنبع: شجر اللقسيّ والسهام. والسفن: ما يُنحت به كالمبرد ونحوه.

ومعنى البيت: ان الرجل قد أخذ من جوانب السنام فجعل يأكله وينقص من اطرافه، رغم سموكه وتجعد الشعر المتلبّد. كما يأخذ المبرد من اطراف عود النبعة البريه سهماً أو قوساً.

(١٧) معاني القرآن ٢: ١٠١.

(١٨) ونظيرتها آية أخرى في سورة الرعد: ٤١ «اولم يروا أنا نأتي الارض...».

(١٩) الاتقان ٢: ٤ (ط ٢) و ١١٣: ١ (ط ١).

(٢٠) التفسير والمفسرون ١: ٢٥.

(٢١) الاتقان ٤: ٢٠٤.

(٢٢) التفسير والمفسرون ١: ٦٣-٦٤.

(٢٣) البرهان ٢: ١٧٥. والبحار ٨٩: ١٠٥ (بيروت).

(٢٤) وناهيك عن قول ابن الخطاب: «لابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو حسن» (أنساب الأشراف: ١٠٠، رقم ٢٩).

(٢٥) التفسير والمفسرون ١: ٨٩.

(٢٦) بحار الانوار ج ٨٩ (ط بيروت) ص ١٠٥-١٠٦ عن كتاب سعد السعود

للسيد ابن طاووس ٢٨٥-٢٨٦.

(٢٧) راجع في ذلك اسد الغابه لابن الاثير

فارغة، فقال: انا لا نعيها فارغة... كان منحرفاً عن عثمان. ثابتاً مع امير المؤمنين (عليه السلام) فقُتت عينه يوم الجمل وقتل ابنان له في ركاب على (عليه السلام) وشهد صفين بنفسه. توفي سنة ٦٧ بالكوفة ايام المختار وله مائة وعشرون سنة (اسد الغبة ٣: ٣٩٢).

(٧) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر ١١٣-١١٤. وتفسير الطبري ٢: ١٠٠.

(٨) الدر المنثور ١: ١٩٨-٢٠٠.

(٩) وسائل الشيعة ٣: ١٥٢ رقم ٤ باب ٢٧ المواقيت.

(١٠) التقان ٤: ٢٢٨.

(١١) عند البحث عن مسألة التحريف عند حشوية العامة برقم ٢٠. وراجع المستدرک ٢: ٢٢٥ و ٢٤٦.

(١٢) التمتع: التمرغ في التراب.

(١٣) العياشي ١: ٢٤٤ رقم ١٤٤ و ١٤٥ وص ٣٠٢ رقم ٦٣.

(١٤) راجع الدر المنثور ٦: ٣١٧ والمستدرک للحاكم ٢: ٥١٤.

والأب: العُشب المُتهَيَّء للزَّعي والجزء من قولهم: أبٌ لكذا، إذا تهياً له. كما ان الفاكهة هي الثمرة الناضجة للأكل والقطف. جاء في المعجم الوسيط: الأب: العُشب رطبه ويابس. يقال: فلان له الحق وطاع له الأب اذا زكى زرعه واتسع مرعاه.

(١٥) الموافقات ٢: ٨٧-٨٨. (الذهبي ١: ٣٤)

(١٦) مجمع البيان ٦: ٣٦٣.

التابعين، سكن الكوفة وكان في الجيش الذي مع علي (عليه السلام) في حربه الخوارج. وهو أول من جمع خطب علي (عليه السلام) في الجُمع والاعياد وغيرها. توفي سنة ٩٦ وقد عمر طويلاً...

(٤٤) الخصال: ٢: ٤٦١ باب ١٢.

(٤٥) راجع بحار الانوار (بيروت) ٢٦: ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٤.

(٤٦) قاموس الرجال للتستري: ٦: ١٢٦ ط ١ نقلاً عن الشافي.

(٤٧) تقريب المعارف: ١٦٨.

(٤٨) وفي نسخة: جلبت.

(٤٩) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢٦ برقم ٢٥. وقاموس الرجال: ٦: ١٤١-١٤٢.

(٥٠) الطبقات (ط ليدن): ٦: ٤ س ١٥ و ٢٠.

(٥١) المصدر: ٥ س ٢٠.

(٥٢) المصدر: ٤: ١٩.

(٥٣) الطبقات: ٦: ٥ س ٤.

(٥٤) المصدر: ٤ س ٢٤.

(٥٥) وسائل الشيعة: ١٨: ١٠٩ رقم ٤٤.

(٥٦) الاتقان: ٤: ٢٠٩-٢١٠.

(٥٧) تقريب المعارف لابي الصلاح: ١٦٨.

وراجع سفينة البحار: ١: ٨.

(٥٨) ببقل التستري في قاموس

الرجال: ١: ٢٢٧.

(٥٩) الخصال للصدوق: ٢: ٤٦١.

(٦٠) شرح النهج لابن ابي الحديد: ٢: ٥٢.

(٦١) المصدر: ٦: ٤٤.

* * *

٢٢-٢٣. والاصابة لابن حجر: ٢: ٥٠٩.

وحيلة الاولياء لابي نعيم: ١: ٦٥. وانساب

الاشراف للبلاذري: ١٠٠٠، رقم ٢٩.

(٢٨) سعد السعود: ٢٨٥ والبحار: ٨٩-١٠٥.

(٢٩) شرح النهج: ٢: ١٩٠.

(٣٠) المستدرک: ٣: ١٢٦ و ١٢٤.

(٣١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٩٨-٩٩ رقم

٢٦ و ٢٨.

(٣٢) الكافي والموازنة للاسكافي: ٣٠٠.

(٣٣) الكافي الشريف: ١: ٦٤ كتاب فضل العلم

- باب اختلاف الحديث - رقم ١.

(٣٤) المعيار والموازنة: ٣٠١.

(٣٥) بفتح العين: رائقته الذكيه.

(٣٦) الخصل: الخطأ ينشأ من عدم الروية.

(٣٧) خطبه رقم ١٩٢ النهج: ١: ٣٩٢-٣٩٤.

(٣٨) حلية الالياء: ١: ١٢٤-١٣٩. واسبغ الغاية

٢: ٢٥٦-٢٦٠. والاستيعاب بهامش

الاصابة: ٢: ٣١٦-٣٢٤ والاصابة: ٢:

٣٦٨-٣٧٠.

(٣٩) التقارن: ٤: ٢٠٧-٢٠٨.

(٤٠) سعد السعود: ٢٨٥. البحار: ٨٩: ١٠٥.

(٤١) راجع الغدير: ١: ٥٣ رقم ٧٩.

(٤٢) الدر المنثور: ٢: ٢٩٨. والآلوسي في روح

المعاني: ٦: ١٧٢.

(٤٣) وثقه أصحاب التراجم. قال الأعمش: اذا

حدّثك زيد بن وهب عن أحد فكانك سمعته

من الذي حدّثك عنه. اسلم في حياة النبي

(صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهاجر اليه. فبلغته

وفاته في الطريق. فهو معدود من كبار